المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة الملك سعود

ورقة عمل:

نظرية التعلق الأيثولوجية

جون بولبي

إعداد:

هيفاء الكثيري

إشراف

أ.د عبدالعزيز بن حسين

الفصل الأول 1442

مقدمة

للمنحى الإيثولوجي تاريخ طويل يعود إلى بداية الثلاثينات من القرن الماضي على يد الإيثولوجيين الأوائل من أمثال لورنز ودارون حيث انصبت دراستهم على ملاحظة الحيوانات في المواقف الطبيعية ووصف سلوكياتها.

والايثولوجيا هي الميدان الذي يدرس سلوك الحيوانات من منظور ارتقائي بيولوجي، بينما يرى البعض أنها الدراسة العلمية لسلوك الحيوانات ومن ضمنها الإنسان في ظروفه الطبيعية، والتي تهدف إلى فهم الأنماط السلوكية النموذجية عند الأنواع ووظائفها.

أبرز ما توصلت إليه أبحاث الايثولوجيين من نتائج:

١. **الايثولوجية نظرية بيولوجية للسلوك** جاءت كرد فعل على السلوكية التي أهملت الأصول الفطرية للسلوك وربطته فقط بالمثيرات البيئية.
٢. **التطبع** مصطلح لوصف التعديلات المبكرة في السلوك في كل حالة يظهر هذا التطبع مؤشرا على فترة حرجة يستجيب فيها الكائن الحي للخبرات المطبوعة ويكون فيها النمو أسرع.
٣. **الميراث البيولوجي للفرد** يؤثر في مسيرة النمو الاجتماعي خاصة التعلق والعدوان فالطفل يتعلم بالتعزيز الاعتماد على الأم، وأن كل فرد يحمل شيفرة وراثية من والديه تتصل ببعض الخصائص مثل الذكاء والسمات الجسمية والتخلف العقلي.
٤. **الفترات الحساسة أو الحرجة** ويقصد بها فترة زمنية يكون فيها الطفل مستعدا بيولوجيا لاكتساب قدرات أساسية مع ضرورة توفر مثيرات بيئية مناسبة
٥. **الالتصاق أو التعلق**

ويعود الفضل إلى بولبي وبترجن في تحول الاهتمام في الايثولوجيا من دراسة الحيوان إلى دراسة الانسان ويعد موضوع التعلق المثال الرئيسي لهذا الاهتمام فأصبح مصطلح الايثولوجيا الانسانية من المفاهيم المألوفة في الوقت الحاضر. (الريماوي، ٢٠٠٣)

نبذة عن حياة جون بولبي

ولد جون بولبي في لندن وتلقى تدريبا في الطب والتحليل النفسي، اهتم بالمشكلات والاضطرابات الانفعالية التي يواجهها الأطفال في مؤسسات الرعاية وملاجئ الايتام مثل عدم القدرة على تشكيل الصداقات وتبادل مشاعر الحب مع الآخرين. وقد عزا بولبي ذلك إلى عدم توفر فرصة للطفل لتطوير رابطة تعلقية مع الأم في مرحلة الطفولة المبكرة؛ مما شكل قناعات راسخة لديه تشير إلى تعذر فهم تطور الطفل دون الاهتمام والتركيز الكبيرين على علاقة الطفل بمقدم الرعاية وخصوصاً الأم.

كان أثر بولبي كبير في جذب انتباه علماء النفس حول النظرية وحيث أن الحرب العالمية الثانية تسببت في تيتم أطفال كثيرين انصب الاهتمام حول معرفة آثار الحرمان من الوالدين. كان لملاحظاته الخاصة بالأطفال الرضع الذين أبعدوا عن أمهاتهم أثر في استنتاجه المتمثل في أن التعلق الاجتماعي المبكر بين الطفل وكافله ذو أهمية كبيرة بالنسبة للنمو الطبيعي، وعلى الجانب الآخر تؤدي سوء العلاقة بين الأم والطفل إلى ثورته ويأسه وشعوره بالحزن وإصابته في النهاية بالمرض النفسي ومن الأمثلة الدالة على قوة التعلق أننا نجد الطفل يثور عندما يترك الوالد المنزل ويبتسم ويهلل عندما يعود، كما أن الأطفال يحتاجون إلى شخصية يرتبطون بها في حالة شعورهم بالضغط.

ويعتبر بولبي أول من طبق فكرة الروابط الانفعالية بين الرضيع ومقدم الرعاية، وقد أكدت نظريته فكرة أنصار التحليل النفسي والتي تشير إلى أن نوع التعلق مع مقدم الرعاية له تضمينات عميقة وهامة لشعور الطفل بالأمن وقدرته على تشكيل علاقة مفعمة بالثقة.

استمر بولبي في تطبيق أفكاره عن التعلق في أعماله النفسية ففي كتابه الأخير سيرة دارون يتتبع سوء صحة دارون على مدى حياته ويعزى ذلك إلى عدم قيامه بالحداد على أمه عندما كان يبلغ ثمان سنوات. (باتريشيا وميللر، ٢٠٠٥)

مسلمات نظرية بولبي

المسلمة الأولى أن الأطفال الرضع مثلهم مثل صغار الأنواع الأخرى من الكائنات الحية يولدون مزودين بمجموعة من السلوكات الفطرية التي تجعل الوالدين بالقرب منهم وبالتالي تزيد من فرص حماية الطفل من الأخطار أي زيادة فرص بقائه مثل سلوك الرضاعة والإمساك بالأم والابتسام لها والتحريق في وجهها وعيونها. وعلى الرغم من أن الاتصال مع مقدم الرعاية يوفر للطفل الغذاء اللازم إلا أن بولبي يرى أن الإطعام ليس هو الأساس في تشكيل الرابطة التعلقية فالرابطة التعلقية لها جذور بيولوجية.

المسلمة الثانية: للنظام التعلقي ثلاثة وظائف هي:

١. تحقيق القرب من مقدم الرعاية
٢. توفير الملاذ الآمن للطفل
٣. يتخذ الطفل من الأم قاعدة آمنة ينطلق منها للقيام بأنشطة استكشافية.

وباختصار يمكن القول إن التعلق يلعب دورا حيويا وحاسما في حياة الطفل، فمن خلال وجود الطفل بالقرب من أمه يضمن إشباع حاجاته البيولوجية من طعام وشراب وراحة، وحاجاته النفسية من حب وعطف وأمن، ويجد شخصا يثق به ويهرع إليه عندما يشعر بالخوف والقلق من التهديدات الخارجية، ويعتبره قاعدة آمنة ينطلق منها لاكتشاف بيئته المحيطة مشبعا بذلك حب الفضول الذي يتميز به معظم الأطفال في هذه المرحلة العمرية المبكرة ومحققا لرغبته في التعلم.

المسلمة الثالثة: يتطور التعلق من خلال أربعة مراحل هي:

١. ما قبل التعلق: مرحلة عدم القدرة على التمييز الاجتماعي (منذ الولادة حتى ستة أسابيع) تتميز هذه المرحلة بقلة الاستجابات المتمايزة أو الواضحة نحو مقدم الرعاية فالرضيع في هذه المرحلة يستجيب لعدد من المثيرات بغض النظر عن مقدمها، كما ويتمتع الطفل في هذه المرحلة بقدرته على إصدار العديد من الاستجابات المؤثرة في مقدم الرعاية كالابتسام والتحديق. كما ويستطيع أن يميز صوت الأم ورائحتها إلا أنه لا يظهر تفضيلا للأم فهو لا يمانع عند تركه مع شخص غريب ولا يظهر ردود فعل سلبية تجاهه.

٢. تكوين التعلق: مرحلة القدرة على التمييز الاجتماعي (ستة أسابيع حتى ثمانية أشهر) تتميز هذه المرحلة بظهور قدرات جديدة عند الطفل فهو الآن قادر على التمييز بين الأشخاص المألوفين فيستجيبون للأم بشكل مختلف عن استجاباتهم للشخص الغريب ويناغون ويبتسمون عند حضور الأم ويكتشفون أن أفعالهم وحركاتهم تترك أثرا عند الآخرين ويطورون توقعات حول استجابات مقدم الرعاية لإشاراتهم وإيماءاتهم، وعلى الرغم من هذه التطورات إلا أن الطفل لا يظهر علامات الاحتجاج والشكوى عندما ينفصل عن الأم.

٣. التعلق الواضح: مرحلة البحث عن القرب (ثمانية أشهر حتى سنتان) يسعى الطفل في هذه المرحلة إلى البقاء وطلب القرب من الأم ويظهر لديه قلق الانفصال عن الأم فيبكي ويصرخ عند مغادرة الأم وهذا يدلل على أن الطفل على وعي تام بأن الأم موجودة بالرغم من عدم وجودها أمامه الآن وهذا ما يسمى في نظرية بياجيه في التطور المعرفي بظاهرة بقاء الأشياء.

وهذا ما يقدم لنا إشارات واضحة وعملية على العلاقة الوثيقة بين جوانب التطور فالتطور الانفعالي يعتمد بشكل كبير على التطور المعرفي حيث أن قلق الانفصال ينتج عن تطور معرفي ملحوظ، ومن العلامات المميزة لهذه المرحلة ميل الطفل إلى استكشاف محيطه معتمدا على الأم كأساس آمن فبعد قيامه بالاستكشاف يرجع إلى الأم طمعا بالاتصال المريح والدعم العاطفي وهذا يدلل أيضا على أثر التطور الانفعالي في التطور المعرفي، وتتميز هذه المرحلة أيضا بظهور القلق من الأشخاص غير المألوفين وهو ما يسمى بالقلق من الغرباء.

٤. مرحلة تشكيل العلاقات التبادلية (بعد العامين) يظهر لدى الطفل بعد نهاية السنة الثانية تطور سريع في الجوانب اللغوية والمعرفية فتزداد حصيلته اللغوية وقدرته على الحوار والمناقشة وفهم العوامل المسؤولة عن حضور وغياب الأم؛ وبناء على ذلك يتناقض ظهور علامات الاحتجاج على الانفصال عن الأم مثل البكاء والتشبث بها، ويحل مكانه الحوار والمفاوضة مع الأم عن أسباب مغادرتها وموعد قدومها فكل من الطفل والأم يستطيع عرض رغباته وأهدافه وتوضيحها للطرف الآخر.

المسلمة الرابعة: إن النماذج الذهنية العاملة هي التي تعمل على استمرارية أنماط التعلق عبر الزمن وتحويلها إلى فروق فردية ثابتة. يرى بولبي أن الطفل عندما يتفاعل مع مقدم الرعاية فإنه يطور نماذج ذهنية عاملة لعلاقاته الاجتماعية اللاحقة ويقصد بهذه النماذج مجموعة من التوقعات المشتقة من الخبرات المبكرة مع مقدم الرعاية تتعلق بمدى توفر أو تواجد مقدم الرعاية واحتمالية تقديمه للدعم أوقات الضيق والتوتر بحيث تصبح هذه العلاقات موجهات للعلاقات الحميمة مستقبلاً. ويرى بولبي أن هذه النماذج لها جانبين: جانب يتعلق بالذات ويتضمن تقديرا لمدى جدارة الذات بالحب والدعم ويتضمن الجانب الذي يخص الآخرين تقديرا لمدى استجابتهم والثقة بهم كشركاء اجتماعيين. فإذا كان مقدم الرعاية رافضا للطفل وساخرا منه فسوف يطور الطفل نموذج ذهني يظهر فيه مقدم الرعاية كشخص رافض وأن الطفل غير جدير بالراحة والسعادة. وعلى العكس من ذلك فإذا مر الطفل بتجربة وخبرة ظهر فيها مقدم الرعاية كشخص يمكن الثقة به ومحب وحساس فإن الطفل سوف يطور نموذجا ذهنيا يظهر به كفرد محبوب وجدير بالراحة والسعادة. ومن هنا تظهر أهمية هذه النماذج من حيث أنها توجه وتمارس نوعا من السيطرة على اعتقادات الطفل وإدراكه لنفسه أي أنها تؤثر في تشكيل مفهوم الذات لديه واعتقاداته المتعلقة بعلاقته الاجتماعية. فعلاقة الطفل بمقدم الرعاية تضع أساسا لعلاقات الطفل اللاحقة لأن الاتجاهات والتوقعات والمهارات البين شخصية التي يكتسبها الطفل يعاد دمجها من قبل الطفل وإعادتها في السياقات والمواقف التطورات اللاحقة.

العوامل المؤثرة في التعلق عند بولبي:

١. **الحرمان من الأم:** أن أطفال المؤسسات يواجهون صعوبات انفعالية بسبب حرمانهم من تشكيل رابطة انفعالية مع شخص راشد وهذا ما أكده بولبي حيث يرى أن أطفال المؤسسات غير قادرين على تكوين علاقة تربطهم مع شخص آخر لأنهم لم يتطور لديهم إمكانية تكوين رابطة انفعالية حميمة خلال الفترة المبكرة من التطور؛ لذا فإن علاقاتهم تبقى سطحية عندما يكبرون نتيجة لتجاوزهم الفترة الحرجة لتشكيل الرابطة التعلقية.

٢. **نوعية الرعاية:** يرى بولبي أن التاريخ التفاعلي بين الطفل ومقدم الرعاية هو المحدد الرئيسي لنوعية التعلق الملاحظ عند الأطفال في السنة الأولى، فالأطفال يشكلون توقعات نماذج ذهنية عاملة تتعلق بمدى توافر وحساسية مقدم الرعاية بناء على إشارات التوتر التي يصدرها الطفل واستجابة مقدم الرعاية لها.

٣. **مزاج الطفل:** إن العوامل المتعلقة بمزاج الطفل وسمات الأطفال يبدو أنها مرتبطة بسلوكيات التعلق، فمثلا الطفل ذو المزاج الصعب يظهر توترا كبيرا عند الانفصال عن مقدم الرعاية. (أبو غزال، ٢٠٠٥)

تطبيقات تربوية للنظرية:

- يرى بولبي أنه من الحكمة أن نستجيب وأن نكون على درجة عالية من الحساسية لصرخات الأطفال وابتساماتهم ومناغاتهم مؤكدا لنا أن هذه الحساسية الزائدة لن تفسد الطفل فهذا الأخير مجهز بيولوجيا لكي يرشدنا إلى ما يحتاج إليه من خبرات، إن مثل هذه الحساسية هي المسؤولة عن تشكيل نمط التعلق الآمن الذي يعد بدوره عاملا حاسما في التكيف السليم للطفل ورفع كفاءته الاجتماعية وضبطه الانفعالي وشعبيته مع الأقران وحماسه المستمر في استكشاف البيئة.

- ضرورة الانتباه إلى آلام الانفصال الشديدة وخاصة ما بين الشهر السادس والأربع سنوات حيث يكون الطفل في هذا العمر منهمك بكثافة شديدة في تشكيل رابطته التعلقية ويفتقر إلى الاستقلالية والقدرات العقلية التي تمكنه من التعامل الفعال والتكيف المناسب مع الانفصال.
- حدد بولبي خمس مهمات رئيسية للمرشد والمعالج النفسي:
  - تأسيس أساس آمن مع المسترشد
  - استكشاف أنماط التعلق السابقة وصعوبات العلاقات الحالية.
  - استكشاف العلاقة بين المرشد والمسترشد
  - ربط الماضي والحاضر.
  - تعديل النماذج الذهنية العاملة. (أبو غزال، ٢٠٠٥)

نقد النظرية:

١. بدأ باحثون بين الثقافات في مواجهة نظرية التعلق واعترضوا على عملية تبني النظرية في كافة الثقافات بادعاء أن النظرية الكلاسيكية للتعلق لا تناسب كافة الفئات السكانية في العالم، حيث وجدت أن العوامل مثل الوضع الاجتماعي والاقتصادي والثقافي تؤثر على أهداف التنشئة الاجتماعية لدى الأمهات وعلى كيفية إدراكهن وتقديرهن لأهمية سلوك التعلق.
٢. مع أن التعلق قد يكون متأثرا أو محدد مسبقا من ناحية بيولوجية، تشير الأبحاث إلى أن هناك مكونات خارجية ومحفزات بيئية ضرورية لظهورها وعملها.
٣. في السنوات الأخيرة تنتشر أبحاث مختلفة تعتمد على نظرية التعلق تشير إلى اهتمامات جديدة تبحث في التأثيرات الثقافية على التعلق وتشدد على تأثير العوامل المختلفة على أهداف التنشئة الاجتماعية وعلى الطريقة التي ترى فيها الأمهات سلوك التعلق وتقييمه. (مرعي، ٢٠١٥).

المراجع

١- أبو غزال، معاوية محمود (٢٠٠٥). نظريات التطور الإنساني وتطبيقاتها التربوية. (ط١). الأردن: دار المسيرة.

٢- باتريشيا و ميللر (٢٠٠٥). نظريات النمو. (ترجمة: محمود عوض الله وآخرون). الأردن: دار الفكر.

٣- الريماوي، محمد عودة (٢٠٠٣). علم نفس النمو الطفولة والمراهقة. (ط١). الأردن: دار المسيرة.

٤- مرعي، ابتسام (٢٠١٥). نظرية التعلق العاطفي من منظور ثقافي. الأردن: مجلة نبراس.